

# الفصل التاسع

## الجملا

و يسمعون أنفسهم إلم أورما .

يرى بعض الجغرافيين أن الجملا والصوماليين فرعان من الأرومة الحامية ؛ وأن الجملا وصلوا أفريقية بطريق مضيق باب المنذب ، قبل وصول الدنا كل والصوماليين الذين زحزحوم من موطنهم الأفريقي الأول حول خليج تاجورة ، فهجروه ، وساروا نحو الجنوب الغربي ، حتى اصطدموا بقبائل المازية القوية ، فارتدوا على أعقابهم منعطفين نحو الشمال ؛ وساروا في هذا الاتجاه، حتى وصلوا إلى الحبشة فتوغلوا في أرضها وهزموا جيوش رءوسها فرادى وجماعات ، ودمروا مئات من قراها ، وهدموا آلافاً من كنائسها ، ونهبوا كنوزها ، وقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً ، ولولا ماشجر بين بطونهم من خلاف لسقطت الحبشة التي كانت قد أنهكتها حروب المسلمين في القرن السادس عشر ، خائرة تحت أقدامهم .

ولم يلبث الحبشان أن لموا شملهم ، وتظاهروا ، وأخرجوهم من قلب الهضبة ، فأناخوا في أقاليم الحبشة الحالية الجنوبية .  
ومع ذلك فقد تخلف في وسط شاوة ، وفي بعض جهات الحبشة الشرقية كثير من بطونهم ، واتخذوها أوطاناً لهم .

ويزعم الجلاً أنفسهم أنهم آتون من وراء البحار ، ولا تعرف على وجه التحقيق ، البحار التي يعنونها ، فقد يكونون من وراء البحر الأحمر ، أى من بلاد العرب ، كما قدمنا ، أو من وراء البحيرات الاستوائية ، وفي ذلك أقوال كثيرة ، وخلاف كبير .

ويرى بعض الثقات أنهم هاجروا من بلاد العرب على متن البحر ، وساروا بسفنهم حتى رست بهم فيما يعرف الآن بشرقي أفريقية البريطانية ( كينيا )<sup>(١)</sup> .

واستقروا ببعض جهاتها الساحلية ما شاء الله لهم أن يستقروا ثم هاجروا إلى جهة ما غربى البحيرات العظمى . وأقاموا بها إلى أن هجروها إلى الحبشة حيث لا يزالون بها كما ذكرنا فى صدر هذا الكلام<sup>(٢)</sup> .

ويفصل قبائل الجلا عن قبائل الصومال خط غير مستقيم ممتد بين خليج تاجورة ومصب نهر الجب ( جوبا ) يسكن الجلا غربيه والصوماليون شرقيه<sup>(٣)</sup> .

وينقسم الجلا قبائل ، يختلف أفراد كل قبيلة منهم فى بعض الملامح والصفات والعادات ، ولكنهم يتكلمون لغة واحدة تسمى الجلا أو الأرمو . وهى منتشرة فى القرن الشرقى يتكلمها معظم الحبشان . ويهتم السائحون بدراستها لأن من يحسنها منهم يستطيع التفاهم ، كما قدمنا ، مع معظم سكان الحبشة . وهى من اللغات الموسيقية التى يحلو سماعها .

ويرعى شئون بعض القبائل الجلاوية هيتش ، أو سلطان ، وشأنه شأن مشايخ القبائل العربية ، لا ينفرد بأمر دون أفراد قبيلته ، إذ الأمر شورى بينهم .

وتنقسم بعض قبائلهم جماعات تسمى جادا . وينقسم رجال كل جادا ، أزواجاً . وكل رجل ينخرط فى سلك الجماعة التى كان أسلافه مندمجين فيها . وتمر كل جماعة

---

(١) هذا الرأى يخالف الرأى القائل لأنهم قدموا أفريقية عن طريق باب المنذب .

(٢) يرى البعض أن الجلا غادروا أوطانهم مخنارين ، حداثهم إلى ذلك خصب الأرض التى رحلوا إليها . ومما سهل لهم هذا الانتقال غزو الأجرانى القائد الصومالى للحبشة ، إذ ساروا فى أثره ، يحلون فيما يخبره من البلاد الحبشية .

(٣) ذكر الدكتور محمد صبرى فى كتابه : مصر فى أفريقية الشرقية — الخ ص ٢٨ • أن أرض الجلا تمتد فى الشمال الشرقى من بحيرة فكتوريا بين هضبة الحبشة فى الشمال ومملكة الصومال فى الشرق ، وبلاد العروس وبوران فى الجنوب ولعله يقصد بمملكة الصومال مملكة عادل القديمة ويستخلص من كلامه أن العروس وبوران ليسا من الجلا فى حين أنهما من جماعات الجلا .

باختبارات ، مدة كل منها ثمانى سنوات . ورجال الجيل الرابع<sup>(١)</sup> مسئولون عن حكم القبيلة والتصرف فى شئونها ، ومنهم يختار الأب بوكو أورب الصولجان . ويفضل الجلاً الشباب القر القادر ، على الشيخوخة المجرية العاقلة . ومن قصصهم الطريفة التى تبين عن ذلك القصة الآتية :

التقى يوماً ضبع كان يتجول فى غابة ببن آوى ، فقبض عليه ، واقتاده من عنقه . فسأله الرفق به ، وإطلاق سراحه رحمة بصفاره .

فقال له الضبع ، وهو يهدىء من روعه : إني لم أرد قتلك وإنما أريد أن تحضر لى ماء أو تهبىء لى مكاناً آوى إليه يعصمنى من الحر ، والقر ، والمطر . فقال له ابن آوى ، وهو يرتعد خوفاً : « لو كنتُ رجلاً لما اجتأأت على إذلالى ، وأقدمت على هوانى !

فسأله الضبع : وما الرجل الذى تهددنى ، وتوعدنى به ؟ وما دله وشكله ؟

فقال له ابن آوى : إذا أردت أن تراه فاصحبنى أدلك عليه .

فانطلقا . وبينما هما سائران فى إحدى مسالك الغابة ، لقيا رجلاً مُسنأ .

فقال الضبع لابن آوى : « أهذا الرجل » ؟

فقال ابن آوى : « لا ، ليس ما تحرى رجلاً ، وإنما كان رجلاً » .

وانطلقا . فلقيا صبيأ فى الغابة يمرح !

فسأله الضبع ! أهذا الرجل الذى تريدنى أن ألقاه ؟

فقال ابن آوى : « لا ! ليس هذا رجلاً الآن . ولكنه سوف يسبح

رجلاً يوماً ما » .

وانطلقا . فلقيا شابأ ، فارع الطول ، مفتول السواعد ، وفى يده قذافة .

---

(١) يقصد بالجيل الرابع أى الرجال الذين نجحوا فى الاختبار الرابع ، ومنهم معظم فرسان

الجيش ( السوارى ) .

فقال له الضبع : « أهذا الرجل » ؟

قال ابن آوى : أجل . هذا هو الرجل حقاً . فأرني شجاعتك واقبض عليه .  
فهجم الضبع على الشاب الشاكي السلاح ، فأطلق عليه مقدوقاً نارياً ،  
أصاب أذنه .

ففر الضبع واضعاً يده على موضع الجرح من أذنه ، مصداقاً لقول ابن آوى !  
والجلوى بوجه عام أرقى من الصومالى خلقاً ، وأرجح عقلاً ، وأميل إلى الحرب .  
وسلاحه المختار الحراب والرماح ذات الأسنة المتفرعة ، التي يسميها بعض أهل الصعيد  
« القريقط » .

والجلاً الشماليون أى الذين يسكنون الحبشة الأصلية فرسان مغاوير أعجب للبشر  
كريف « بطلعتهم الحربية وطول قاماتهم » . ولم يتمكن الإمبراطور منليك الثانى ،  
أعظم نجاشية الحبشة من إخضاعهم ، إلا بعد أن أمده الفرنسيون بالذخائر ، ومعدات  
الحرب الحديثة من مدافع وقذافات .

ومعظم الجلا الشماليين مسلمون يرسلون بعض أبنائهم إلى الجامعة الأزهرية لتلقى  
العلوم الدينية ، ويرجعون إلى أوطانهم بعد إتمام دروسهم ليفقهوا قومهم بأمور دينهم .  
أما الجلاً الجنوبيون أى الذين يسكنون فى أطراف الحبشة الجنوبية ، والجنوبية  
الغربية ، فإنهم دون الشماليين فى الرقى العقلى ، والخلقى . ولا يزال بعضهم متمسكين  
بدينهم القديم ، الذى ألفوا عليه أجدادهم ، يؤمنون بإله على مسيطر يسمونه واق ،  
ويشركون معه ريين ، ذكرأوانثى ، وهما دونه فى الحول والقوة والسلطان . ويقدمون  
القمر ، وبعض الحيوانات مثل التمساح ، والزواحف كالحية ، والطير كالبومة ،  
والشجر كالباوباب .

ومن عادات بعض قبائلهم أن يصبوا اللبن كل شهر على جذور شجرة الباوباب ،  
ويضحون لها بشاة سوداء كل سنة . كما يعتقدون فى زجر الطير . ويدعى

بعضهم علم الغيب بفحص معدات البقر وأمعانها .  
وجلهم حفاة ، يتلفعون بجلود الضأن . ويعيشون على الفطرة في أكواخ من  
قصب ، يحيط بها زرائب يحشرون فيها أنعامهم حشراً .



هيشات الحالا

ويختلف الجلا الشماليون عن الحبشان الذين يجاورهم في جل صفاتهم وأخلاقهم

وعاداتهم ، وطرق معيشتهم ، فليس في أشرفهم النعرة الكاذبة والصلف والزهو ، تلك الصفات التي نعرفها من رؤوس الحبشان وكبرائهم . وليس في دهمائهم خلائق الخنوع ، والذلة ، ونسيان الذات ، التي نلصقها في صغار الحبشان . وليس عندهم التعصب الديني البغيض الذي نجده في الحبشان جميعاً .

ولقد شبههم رحالة إنجليزي ، جاب بلادهم ، ونزل بين ظهرانيتهم ، شبههم بأهل الريف في بريطانيا العظمى نفسها « فسراتهم مثل أكفائهم البريطانيين ، طيبو النخيزة ، ميامين النقيبة ، كرام النفوس . إذا لقيتهم هشوا لك وبشوا . وإذا جالستهم أنسوا إليك . وإذا استنجدتهم خفوا لنجدتك . أو استعنتهم ، طاروا سراعاً لمعونتك . ليس لهم مطمع سياسي خاص . ويحرصون الحرص كله على تحاشي الجدل السياسي ، وتجنب الحوار الحزبي .

أما مواليهم أو سكان الأكواخ أو « التُّكُل » المبعثرة في السهول والأودية فأكفاء عمالنا الزراعيين ، نشيطون مجدون . حتى فعال . لا يكلمونك إلا إذا بدأتهم بالسلام أو بالكلام .

وإن نظرة عجلي إلى داخل بيوت ذوى اليسار منهم ، تريك أنهم يقدرون الراحة المنزلية ، ويعملون لها ، فقراشهم مريح وثير ، وطعامهم جيد شهى . والحدائق التي لا يكاد يخلو منها بيت من بيوتهم ، تحوى من الزهر البهيج ، والرياحين العبقرة ما ينم عن ذوق مهذب ، وإحساس دقيق بالجمال .

ومعظم أرضهم خصيبة ذات زرع وكلاً ملنف ، تجرى من تحتها الأنهار ، فتقسمها أكتافاً ، أو ربوات مستطيلة وأودية وسهولا .

وقد طاف بعض الرحالين الإنجليز بأرض جلا العروس فوصفها بقوله : إن مناظرها الطبيعية ساحرة فاتنة . . . . . وجبالها الشاخحة تكسوها حلة خضراء ، تشبه منحدراتها العليا مورز ( Moors ) يوركشير . أما المنحدرات السفلى ، فتشققها

نهيرات ، عميقة المجرى ، سريعة الجريان ، يعترضها شلالات ، رائعة أشد الروعة وتحف بها الغابات ، عن اليمين وعن الشمال .

ويبنى سراة الجلا بيوتهم على رؤوس التلال ، ويبنى مواليمهم ، أى العمال الزراعيون والرعاة أكوأخهم مبعثرة في السهول ، ومجتمعة قرى على ربوات من الأرض في الأودية التي تفرها مياه الأنهار التي فيها ، في موسم الأمطار .

ولقد وصف أحد الرحالة هذه القرى قال : « في وادى الأواش ، أحد روافد النيل الأزرق ، وهو وادى نهاية في الخصب ، يبنى فلاحو الجلا قراهم على ربوات ، تصبح جزأر في موسم الأمطار ، ويصبح السير فيها متعذراً أو قريباً من المستحيل . ويذكرنا هذا المنظر بمنظر مصر في زمن الفيضان ، قبل عصر الوى المستديم ، ومنظر الحياض في مصر العليا حين يملأ حياضها ماء الفيضان ، ذلك المنظر الرائع ، الذى وصفه الفاتح عمرو بن العاص فأبدع وصفه ، إذ يقول : « مصر ، يا أمير المؤمنين ، تربة غرباء ، وشجرة خضراء . . . . . يجرى وسطها نيل مبارك الغدوات ، ميمون الروحات ، يجرى بالزيادة والنقصان . . . . . حتى إذا عجز مجاجه ، وتعظمت أمواجه ، فاض على جانبيه ، فلا يمكن الشخوص من القرى ، بعضها إلى بعض إلا في صغار المراكب ، وخفاف القوارب . »

وفي أرض الجلا ولايات أو ممالك صغيرة إسلامية مستقلة ، إستقلالاً ، يكاد يكون تاماً يحكمها ملوك مسلمون ، أشهرها شيا (جمة) جنوبى غربى أديس أبابا ، وهى من أخصب بقاع الحبشة وأغناها . ويرى بعض من طاف ببعض أنحاءها أنه « لا ينقصها إلا قليل من العناية ، لتصبح جنة من جنات ( عدن ) الدنيا » .

ولقد كتب عنها هذا الطائف قال : « إن تربة أرضها نهاية في الخصب ، وسطحها مموح ، يندر فيه الاستواء ، يحكمها حاكم مسلم مطلق اسمه أبوجعفر ، وهو مستبد ، ويده وحده مقاليد شئونها كلها ، ولكنه حازم بصير ، عالم برعيته ، متفقد لحقوقها ، بليغ

الفحص عن شئونها . وإن منظر البقعة التي نصبنا خيامنا فيها يشبه مناظر الريف في إنجلترا . . . . . وإن مناظر المروج الخضراء التي كانت تحف بنا من كل جانب ، والربوات المشجرة من خلفنا ، والنهر الجياش من تحتنا ؛ هذه المناظر كلها مجتمعة تجعل من الصعب على أى رائد أوربي الاعتقاد أنه في قلب القارة المظلمة .



أبو جعفر حاكم شيماء

وسكان شيماء ( جمه أو جيماء ) مسلمون ، يتزوي رؤساؤهم وذوو الأمر فيهم بزى العرب ، ويتخلقون بأخلاقهم ، ولا ترى الحبشان فيها إلا عابري سبيل ؛ ولذلك فهم أحسن حالا من الجهات التي يشرف عليها الحبشان من قريب أو بعيد ، وأهلها في نعم فائضة ، وأمورهم تجدى على محبتهم ويشتغل بعضهم بالزراعة ، ويحترف معظمهم التجارة . يجوبون بتجارتهم الحبشة ، من أقصاها إلى أقصاها ، ولهم مراكز تجارية صغيرة ، منتشرة في كثير من أنحاءها .

والجلاً كثير . يزيد عددهم على عدد الحبشان . ويزعم الدكتور محمد صبرى<sup>(١)</sup> أن تعدادهم « كان يزيد على العشرة ملايين » — ولا ندرى متى كانوا كذلك — ويرى أنهم أكثر الأجناس الأفريقية بهاء وروعة . . . . . « ولا بدع فالجلوى طويل حسن القامة . له عينان غائرتان ، ولكنهما براقتان ، و إشعان حياة وسجراً . وشفته أقل غلظاً من شفتى الزنجى . ولونه أقل سمرة من لون الأمهرى<sup>(٢)</sup> .



جلوية حسناء

والجلوية جميلة ، بهية الطلعة ، طلقة الحيا ، نحاسية اللون . تضفر شعرها كما

(١) مصر فى أفريقية الشرقية .

(٢) الجارى ربة مكتنز العضل ، ذو جبهة مالية عريضة ، ولحات مهدبة . والجلأ أقل ميلا إلى ركوب رؤوسهم من الصومال والدناكل ، وأشد ذكاء منهما ، ولا بدع إذا زاد نفوذهم ، وعظم شأنهم فى الأيام الأخيرة فى القرن الأفريقى الشرقى ، وهم فى اللون مختلفون ؛ إذ يتدرجون من البورانى ، قمحى اللون إلى الولى المائل إلى السواد .

يضفره بمض بنات الصعيد الأعلى . وهي مواعة بلبس الخلقان ، والعقود ، والأساور المصنوعة من النحاس الأحمر ، أو الأصفر ، أو العاج . وهي زوجة عفة حصان ، يحترمها زوجها وبنوها ، كما أنها متمتعة بحريتها الكاملة ، وهي عذراء . يشاورها أبوها أو أخوها الأكبر في أمر زواجها . ولا يعقد أمر يخصها إلا بعد استئذانها .

ومن عاداتهم المرعية في الزواج ، أن الفتى إذا أحب فتاة ، وأحبته ، وبادلته الرضى بالزواج ، أخبر أباه بذلك . فإذا رآها كفاء له ، ورأى أن أهلها أكفاه أهله ، ووافق على الزواج منها ؛ كان حقاً عليه ، أن يوزع الهدايا بين أهله الأقر بين ، وأكثر ما تكون هذه الهدايا معزى ، لينال رضام بهذا الزواج . وقد يحدث هذا كله ، والعروس طفلة . فإذا ما بلغت الثالث عشرة ، أو الرابع عشرة ، وحاز هذا الزواج قبولها ، يحدد أهلها يوم الزفاف . ويذهب أبوها إلى منازل أقاربه ، وأصدقائه ، الذين أبلغوه رغبتهم في تقديم هدايا لابنته — وأغلب ما تكون معزى — ليسمها بنحاره . وترسل الهدايا كلها مع العروس إلى بيت زوجها . وهذا أشبه ( بالدوتا ) التي يدفعها بعض الأوروبيين لبناتهم . ولهذا كانت خلفه البنات غير محببة إلى فقراء الجلا . فإذا ما بشر أحدهم بنت ، أربد وجهه وهو كظيم . وكثيراً ما ينبذ فقراء الجلا بناتهم بالراء ، ليلتقطهن بعض المارة ، أو يلقونهن في الأنهار ، أو يحملونهن إلى الغابات ، وهناك يتركونهن لتأكلهن الضباع .